الشـيخ بشـير جنبلاط

- الشيخ بشير جنبلاط (1775 – 1825 م.)كان أحد كبار الزعماء الموحّدين الدروز في لبنان، وذا مكانة هامّة في الشرق الأوسط كلّه. حارب الشيخ بشير جنبلاط بإخلاص وبطولة من أجل الموحّدين الدروز، في فترة برَزَت فيها اضطرابات طائفيّة ونزاعات سياسيّة في جميع أرجاء لبنان، وقد دفَع حياته ثمنًا في صراعه مع غريمه الطاغية، الأمير بشير الشهابيّ الثاني.

يُذكر الشيخ بشير جنبلاط في التاريخ كمن ناضل من أجل الحفاظ على أركان الوجود الدرزيّ، وعلى استمرار وجود الطائفة مستقبلً.

حياة الشيخ بشير (1775 - 1825 م.)

- وُلد الشيخ بشير جنبلاط في قريةَ عْذَران في جبال الشوف، في لبنان

بَرَز في شبابه فكان قائدًا للطائفة الدرزيّة في جبل لبنان، في فترة الحُكم الفعليّ للأمير بشير الشهابيّ الثاني .

في بداية تلك الفترة، سادت المنطقة علاقات ودّيّة وتفاهم بين البَشيرَيْن، ضدّ والي قضاء صيدا العثمانيّ، أحمد باشا الجزّار، الذي اشتهر بكونه سفّاحًا وطاغية. لكنّ العلاقة بينهما تضعضعت بعد موت الجزّار، عام 1804 م.، حيث وقعت بينهما خلافات شديدة.

وصَلت الخلافات بين الأميرَيْن ذروتها في حادثة "المختارة"، عام 1825 م.، إذ قام الأمير بشير الشهابيّ الثاني بإرسال جيش كبير، مُكوّن من جنوده ومن آلاف المقاتلين العثمانيّين، واحتلّ المناطق التي كانت تحت سيطرة الشيخ بشير جنبلاط، وقام بنهب القرى الدرزيّة وبمصادرة أملاك سكّانها

. في عام1825م أعُدمَ الشيخ بشير جنبلاط شنقًا في عكّا، وهو ابن خمسين سنة فقط. نقَل وجهاء من الموحّدين الدروز

من قرية يركا، وفي مقدّمتهم الشيخ مرزوق سعيد معدّي، جثمانَ الشيخ بشير جنبلاط إلى قريتهم وأعدّوا له جنازة كبيرة، ثمّ دفنوه في المقبرة

الشماليّة للقرية، بجانب ضريح الشيخ أبي السرايا غنايم ر الذي كان أحد كبار الدعاة في المنطقة.

شخصيّته وإنجازاته

- يُوصَف في تاريخ الطائفة بأنّه زعيم قويّ، تمتَّع بمؤهّلات ومواهب قياديّة، وتوفّرت لديه شروط الزعامة كلّها، وكان قائدًا عسكريًّا شديد المراس، قاد الطائفة الدرزيّة في لبنان في فترة محفوفة بالمخاطر، وتحت حُكّام أجانب وشديدي العداء .
- المعارضين والخصوم، ادّعوا بأنّه عامل قسمًا من أبناء الطائفة الدرزيّة بقسوة وضراوة، فأدّى ذٰلك إلى خلق صراع داخليّ بين العائلات الدرزيّة.

المؤهّلات القياديّة للشّيخ بشير:

- كان يوفِّق بين التطرُّف والاعتدال، وبين الكفاح والوفاق. بفضل هٰذه الخصال، استطاع أن يجمع حوله عددًا كبيرًا من أبناء طائفته ويوحّدهم، وبذٰلك عزَّز قوّته في وجه أعدائه، وبهٰذه الطريقة، أيضًا، أسهم إسهامًا كبيرًا في تعزيز فضيلة حفظ الإخوان.

- يمكن أن نتعلّم عن قدرات الشيخ بشير القياديّة وطابعِها لمّا فرض والي قضاء صيدا، أحمد باشا الجزّار، الضرائبَ الباهظة على سكّان لبنان فتمرد وقاموا المشايخ بتجنيد الشباب وأعلنوا عن تمرّدهم على الوالي.

- هٰذا الحدث رفع مكانة الشيخ بشير وقيمته بين سكّان جبل لبنان، وأُطلق عليه لقب "عمود السماء" لقوّته ولكونه صاحب عقيدة وإيمان، فلم يَخَفْ من الموت.

- بعد موت الوالي العثمانيّ، الجزّار، سنة 1804 م.، تعزّزت مكانة الشيخ بشير أكثر، وأضحى أحد أكبر الزعماء القياديّين في جبل لبنان ورئيسًا للطائفة الدرزيّة فيه.

- كان الشيخ بشير ذا قدرة وحدس سياسيّ قويّ، وكلّما بادر إلى وضْع أيّ خطّة عمل كان يأخذ بالحسبان الاعتبارات والامكانيّات كافّة، وكان يعرف متي يعقد الهدنة، ومتى يتمسّك برأيه، ومتى يتّخذ موقفًا صارمًا، ومتى يُفضّل الوقوف على الحياد.

- مثال على هٰذه القدرات الحادثة التي وقَعَت حين حاول القائد الفرنسيّ، نابليون بونابرت، أنْ يحتلّ منطقة لبنان التي عانت من الضعف والتضعضُع عام 1799 م. فلمّا وصَلَت جيوش نابليون إلى منطقة الجليل، فرض الأخير حصارًا على مدينة عكّا وطلب أن يجنّد إلى صفوفه سكّان لبنان، ومن بينهم أبناء الطائفة الدرزيّة، لكنّ الشيخ بشير جنبلاط حافظ على موقفه الحياديّ واستطاع أنْ يحافظ على توازن القوى الحسّاس في جبل لبنان، حتّى بعد انسحاب نابليون من المنطقة.

الشيخ بشير جنبلاط؛ شخصية توحيديّة درزيّة

- آمن الشيخ بشير بوجوب الحفاظ على مذهب التوحيد الدرزيّ وعلى معتقدات الموحّدين الدروز وتقاليدهم وعاداتهم.
- وواجه القوى الأجنبيّة والزعماء المعادين، خلال سنين قيادته، بالإضافة إلى الفِتَن الداخليّة في الطائفة.
- مع ذٰلك كلّه، إضافة إلى انشغاله بمركزه القياديّ الرفيع واهتمامه بالأمور السياسيّة والإداريّة والمدنيّة، قرّر الشيخ بشير أن يتبحّر في مذهب التوحيد وينضمّ إلى صفوف رجال الدين، رسميًّا، فأصبح شيخًا عام 1814.
- وسعى نحو تحقيق حرّيّة الموحّدين الدروز في العبادة والصلاة في ظلّ السُّلطات العثمانيّة، فناضل من أجل تثبيتهم في أراضيهم في جبل لبنان والمناطق المجاورة له.

مساعدة المحتاجين:

- عُرف الشيخ بشير بأخلاقه وقِيَمه، فقد آمن بالجوار الحسن وبمساعدة الفقير والضعيف، تبعًا لتعاليم مذهب التوحيد الدرزيّ.
- قَدَّم معونات لفقيري الحال والمحتاجين الذين ترنّحوا تحت عبء الضرائب الباهظة .

- دعَم الشيخ بشير، بأمواله، الأمير بشير الشهابيّ، قبل أن يُصبحا خصمَيْن، ولمّا احتاج الأمير الشهابيّ إلى مساعدات ماديّة، دفع الشيخ بشير الضرائب المفروضة على أبناء عائلة بشير.

التسامح الدينيّ :

- واظب الشيخ بشير جنبلاط على التعامل مع أبناء الديانات الذين يعيشون بين الموحّدين الدروز بتسامح دينيّ .
- حصل على شهادة تقدير من البابا، الرئيس الروحيّ للمسيحيّين المارونيّين وكذٰلك الكاثوليك، في روما .

وساعد في بناء مسجد في قرية المختارة، مسقط رأسه.